

يضعنا التاريخ مباشرة وجهاً لوجه أمام ابن طفيل صاحب رسالة « حى ابن يقظان » وهو فى طور النضج والاكتمال العلمى دون أن يحدثنا عن نشأته ، أو يصور لنا شيئاً من بدايته .

ويصمت التاريخ كذلك ، أو يقلد ابن طفيل فى صمته ، فلا يكاد يذكر عنه شيئاً حتى بعد أن بلغ القمة ووصل الى مرتبة الوزارة . وكل ما أثر عنه لا يكاد يتهدى بضع صفحات تضمن معظمها كتاب « المهذب فى تلخيص أخبار المغرب » للمرأكش . وكتاب « مركز الإحاطة بأدباء غرناطة » للسان الدين بن الخطيب . وهذا الذى ذكر على قلته به أخطاء تاريخية وفلسفية أرشدنا إلى معرفتها رسالة حى بن يقظان نفسها .

ولقد أجهل الأستاذ ليون جوتييه نفسه مشكوراً فى تقصى الأخبار عن ابن طفيل وجمعها ، ومع ذلك فلم يكدر يفسر له إلا ما جاء فى الكتابين السابقين . ومع قلة هذه المصادر فقد أخذ الأستاذ جوتييه فى دراستها ووصل منها إلى نتائج ذات قيمة لحضت أو اقتبس منها الكثير فى المقدمة النفيسة التى كتبها الأستاذان الجليلان جميل صليبا وكامل عياد لرسالة حى بن يقظان . وإذا كان التاريخ القديم قد مر فى سرعة خاطفة بحياة ابن طفيل فلم يسجل عنها إلا القليل ، فإن المصادر الحديثة كذلك تكاد تقتصر على ما كتبه الأستاذ ليون جوتييه .

والحق أن هذا الأستاذ قد قدم إلى العلم ، وإلى ابن طفيل خدمة عظيمة ، فإنه قد ألف كتاباً فى حياته وفلسفته ، وفضلاً عن ذلك فقد قام بترجمة رسالة حى بن يقظان إلى الفرنسية بعد أن حققها تحقيقاً علمياً من ناحية النص واختلاف الطباعات والمخطوطات ، ومع أن الأستاذ جوتييه قد صحح بعض الأخطاء التى وقع فيها الكثير من المستشرقين فى دراساتهم

العابرة لابن طفيل ، ومع ما بذله من مجهود يشكر عليه ، فإن ابن طفيل لا يزال في حاجة إلى دراسة عميقة تبين أغراضه الحقيقية وأفكاره التي نشرها خلال قصته فر عليها الكثيرون مروراً عابراً دون أن يمنحوها ما ينبغي لها من أهمية ودرس .

إن الجهود لم تتضافر بعد على دراسة ابن طفيل كما تضافرت على دراسة غيره كابن رشد أو ابن سينا ، لذلك لا يزال هذا الفيلسوف في حاجة إلى درس أوسع وإلى بحث أشمل ، وأرجو أن تسد المساهمة العلمية التي أقوم بها الآن بعض النقص في هذه الحلقة .

على أني أريد أن أحدد عملي تحديداً صريحاً ؛ إنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

(١) الكتابة عن حياة ابن طفيل .

(٢) إخراج رسالة حي بن يقظان .

(٣) شرح فلسفته على وضعها الصحيح : شرحها في ذاتها ، وتحديد الصلة الفكرية بين ابن سينا والغزالي وابن باجة من جانب وابن طفيل من جانب آخر .

أما عن حياة ابن طفيل : فالكاتبون يلتقون عند مصادر واحدة ويستقون من نبع واحد . بيد أن لكل كاتب طريقته في العرض والاستنتاج . وهذا القسم على كل حال ضئيل .

وأما عن إخراج الرسالة فطبعتها متعددة ، ومخطوطاتها معروفة ، ولكل إنسان اجتهاده في تصحيح النص .

أما العمل الحاسم وهو فهم فلسفة ابن طفيل فهماً صحيحاً ، وتحديد مصادرها ، وبيان ما بين ابن طفيل وابن سينا والغزالي من صلة فكرية ، فإني لا أكاد ألتقي فيه من قرب أو من بعد بمن كتبوا عن ابن طفيل ، سواء القداماء منهم والمحدثون . والله ولي التوفيق ؟